Osman b. Fudi (150203)

Revue Ibla • Tunis • 1/2016 • n° 217 • pp. 63-86 Tunis
IRCICA KTP

الشيخ عثمان بن فودي ومنظومة الرق في بلاد الحوس

الأمجد بوزيد
كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة

01 Nisan 2023
...AUDE YAYIMLANDIKTAN
SONRA GELEN DOKÜMAN

على الرغم من ثراء أعمال الدارسين وتعددها حول تجارة الرقيق وأثرها في تطور المجتمعات الإفريقية، فإن مسألة وظيفة الدين والمعتقدات في تكريس علاقات الرق في إفريقيا جنوب الصحراء ما تزال تحتاج إلى اهتمام أكبر من طرف المنشغلين بالتاريخ الإفريقي. وفعلا، ظلت المزاعم الدينية والأحكام المسبقة توظف طوال قرون عديدة لتبرير استرقاق الأفارقة والمتاجرة بهم، من ذلك الاعتقاد أن الأفارقة السود وخاصة الوثنيين منهم يتحدرون عن حام الذي دعا عليه والده نوح أن تكون ذريته عبيدا لإخوته سام وحافظ. وقد توسع هذا الاعتقاد إلى حد مطالبة الوثنيين السود بخدمة مجتمع المؤمنين. من جهة أخرى، وبدعوى تباين المناخات، والعادات، ودرجة التطور الحضاري بين الأفارقة والشعوب الأخرى، فإن أنصار المدرسة الاستعمارية يزعمون أن الرجل الإفريقي لا يتميز بكسله وخشونته فحسب وإنما أيضا بفسقه وتفكيره الخرافي. مما يؤهله في رأيهم أن يكون خادما للرجل الأبيض[1]. ولا بد أن نلاحظ هنا أن هذه المزاعم والأحكام المسبقة والعنصرية ترمي إلى إضفاء ألوان مختلفة وأشكال متعددة على مؤسسة

[1] Elika M'BOKOLO : « Afrique Noire : Histoire et Civilisations », t :1, Paris, 1995, 496 pages, p: 303. Voir aussi Somé MAGLOIRE, « Les cultures africaines à l'épreuve de la colonisation », in Revue Africa Zamani, n°9/10, 2001-2002, Dakar, pp. 41-59, pp. 42-43.

الرق. ألوان وأشكال تنظر إلى الرق نظرة هامشية لا تربطه بسيطرة الإنسان على أخيه الإنسان ولا بعلاقات الإنتاج الاستغلالية. والملاحظ أن مسألة العلاقة بين الرق والدين بدأت تطرح في الأوساط الفكرية ومن طرف الأفارقة منذ التسرب الأوروبي في السواحل الغربية من إفريقيا في أواخر القرن الخامس عشر. إذ انجر عن ذلك التسرب تقهقر طريق الغرب وتوسع ظاهرة المتاجرة بالرقيق بشمولها أفارقة مسلمين أصيلي فوتا طور وجالوف وكاجور ووالو (شمال السنيغال حاليا)[1]. وكرد فعل على ذلك التوسع قامت ثورات المرابطين ضد الحكام المحليين في غرب إفريقيا وضد التجار الأوروبيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، وتمكنت من وضع حد للمتاجرة بالمسلمين. ونتناول هنا بالدرس نظرة الشيخ عثمان بن فودي[2] للرق والاسترقاق، فعلى الرغم من تعددها، فان الأعمال التاريخية حول هذا الشيخ ظلت تتركز على دراسة مواقفه وأفكاره الدينية وجهاده لاكتساح السلطة[3]. والواقع يمكن إدراج هذا الصنف من الأعمال ضمن

[1] De Clarkson à Mirabeau, « Lettre datée le 21 décembre 1789 », in Collectif De la traite à l'esclavage (V^e au XVIII^e siècles), Actes du colloque international sur la traite des Noirs, Paris, 1988, t : 1, 551 p, p. 226.

[2] ولد بدغل في مملكة غوبر سنة 1754، وكان ينتمي إلى شعوب التكلور الذين امتزجوا بالفولانيين. قد أهلته ثقافته الفقهية واللغوية إلى تولي قيادة حركة جهادية أفضت إلى قيام إمبرطورية سكت (سكوتو) التي امتدت من ماسنة غربا الى مملكة باجرمي شرقا مشتملة على كامل السودان الأوسط (بلاد الحوس) وبلغت مساحتها حوالي 200 ألف كلم2. وانطلاقا من سكت العاصمة كان أمير سكت يشرف على أكثر من ثلاثين إمارة لعل أهمها كشنا كانو وغوبر وكشن وغند أدماو وغواندو. أنظر جوزيف كي-زيربو، **تاريخ إفريقيا السوداء**، تعريب يوسف شلب، ج 2، دمشق، 1994، صص 613-1214، ص 626. وراجع أيضا عبد الله بن محمد بن فودي، **ضياء السياسات وفتاوي النوازل** تحقيق أحمد محمد الكانمي، القاهرة 1988، ص 221، ص 23. وأيضا إسماعيل عثمان سيد أحمد، "حركا الشيخ عثمان بي محمد فودي ومحمد احمد بن عبد الله المهدي وأثرهما"، **مجلة دراسات افريقية**، العدد الثاني، أفريل 1986، الخرطوم، صص 35-53.

[3] Seyni MOUMOUNI, « Vie et œuvre du cheikh Uthman dan Fodio (1754-1817) : De l'Islam au soufisme », L'Harmattan, Paris, Juin 2008, 222 p. Pour le même auteur voir son travail sur « L'œuvre mystique de Uthman